بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى؛ أما بعدُ: فإنَّ مِن الأساليبِ التي ينبغي لطالب العلم التنبه لها، والتركيز عليها، والعناية بها: أسلوبَ الالتفافِ؛ وهو أحدُ الأساليبِ البيانيةِ النافعةِ المهمةِ جدا؛ وهو أسلوبٌ يُبْحَثُ في علمِ البديعِ؛ أحدِ أنواعِ علومِ البلاغةِ الثلاثةِ.

فعلى طلبة العلم عامة، وطلبة علوم القرآن وتفسيره خاصة أن يعطوا هذا الأسلوبَ عنايةً خاصةً، وأن يُولُوه اهتمامهم؛ لما يترتب عليه من فوائدَ جليلةٍ؛ ولما سيجدونه من حلاوةٍ لبلاغةِ القرآنِ الكريمِ.

وقد اعتنى علماؤنا –رحم اللهُ مَيِّتَهُمْ وحفظ حَيَّهُمْ- بهذا الأسلوبِ الجميلِ البديعِ عنايةً كبيرة؛ سواء من حيث التقعيدُ له والتأصيلُ، أو من حيث التمثيلُ له، والتطبيقُ العمليُّ لأقسامه على القرآنِ الكريمِ، وعلى الكلامِ العربيِّ: شعرا ونثرا.

فتجد في كتب البلاغة عامة: شرحا وبيانا لهذا الأسلوب، وتجد في الكتب المصنفة في علم البديع خاصة: شرحا أطولَ وبيانا أوضحَ، وتفصيلا أدقَّ.

كما أن هناك كتبا مفردةً عن هذا الأسلوب؛ بعضها عام، وبعضها خاص بالقرآن الكريم، أو بشعر بعض الشعراء.

والكتب المفردة عن أسلوب الالتفات في القرآن عدد لا بأس به؛ وبعضها رسائل جامعية، وفي بعضها ذكرٌ لجهود العلماء السابقين التي بذلوها في إيضاح ذلك من خلال كتبهم وتفاسيرهم؛ فيحسن الرجوع إلى هذه الكتب –أو بعضها– للاستفادة منها، والنهل من معينها؛ لأن فيها دررا ونفائسَ تشد إليها الرحال!

وأسلوبُ الالتفاتِ هذا قد قسمَّه العلماءُ إلى ستةِ أقسامٍ؛ وهي:

القسم الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

القسم الثانى: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

القسم الثالث: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

القسم الرابع: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

القسم الخامس: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

القسم السادس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

ينظر: «عروس الأفراح» (1/ 272-283).

واقتصر بعضهم على ثلاثة أقسام منه؛ كالزمخشري –وتبعه على ذلك ابنُ الأثير في كتابه «المثل السائر»–، لكن رد عليهم أهلُ العلم، وعدَّوا هذا تقصيرا منهم!

ولابن الأثير في كتابه «المثل السائر» (2/ 3-34) كلام نافع جدا عن هذا الأسلوب؛ أنصح بالرجوع إليه والاستفادة منه، خاصة في رده على الزمخشري الذي قال: «إن الرجوع من الغيبة إلى

الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه».

فائدة:

قال الدكتور عتيق –رحمه الله–: «فالعدول بالالتفات عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة لا يكون ... إلا لنوع من الخصوصية اقتضت ذلك. وهذه أمر لا يتوخاه في كلامه إلا المتمرس بفن القول والعارف بأسرار الفصاحة والبلاغة». كما في كتابه (علم البديع) ص (155).

فائدة أخرى: لعل أولَّ من ذَكَرَ (الالتفاتَ) وجرى على لسانِهِ هو الإمامُ الأصمعيُّ: عبدُالملكِ بنُ قُريبٍ –تغمده الله برحمته–.

ومما يجدر التنبيه عليه: أن هناك أسلوبا قريبا من أسلوب الالتفاف –وليس منه–؛ وهو أسلوب الانتقال في الكلام؛ بحيث ينتقل من الخطاب بالإفراد، أو التثنية، أو الجمع إلى آخر؛ كالانتقال من الواحد إلى الجمع، أو من الجمع إلى التثنية، وهو ستة أقسام –أيضا–؛ فاقتضى التنبيه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب أبو عبدالخالق أشرف بن صابر، ضحى يوم الإثنين (23 – جمادى الآخرة – 1444هجرية) الذي يوافقه من التاريخ الصليبي (16 – 1 – 2023).